العدد (1556) السنة السادسة - الأحد (12) تمـوز 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

هـــل المصالحـــة مـع حـــزب البعـث (ضـرورة تأريخية)؟!

ماهو نوع المصالحة التي يتحدث عنها بعض السياسيين العراقيين ودول الجوار، كلما سنحت لهم الفرصة لاستعراض عضلات الاخوة والنصيحة ، والامريكان الذين يبحثون عن المصالحة من تحت عباءة الماضي ؟

عامر القيسي

العميان

لقد خاضت القوى السياسية والدينية صراعا حقيقيا ، مستخدمين الشارع العراقي ، لتحقيق مكاسب سياسية بغطاء ديني ، ورغم الثمن الصعب الذي دفعناه في هذا الصراع المتعدد الجوانب والاهداف ، الا ان هذه القوى وادواتها اكتشفت ان الاستمرار في الصراع بطريقته التي كانت سائدة سيسحق الجميع ويخرجون من المولد بلا حمص ، كما يقال .

وفي عزّ اسالة الدم العراقي، وسط الشوارع وعلى الارصفة وفي المدارس وداخل البيوت ، كان الذين ينادون بالمصالحة الوطنية هم انفسهم الذين ينادون بها اليوم .وكأن لاشيء تغيّر ، لا بنادق نكست واخرى تكسرت ولا جغرافية أمنت وانفتحت على مساحات اخرى ولا لحي قد تعانقت وتبادلت الوانها ولا ابن الكاظمية صار يعبر الى الاعظمية دون خوف ولا ابن الرمادي استفاق من خدعة القاعدة وكنسها وصار جزءا من منظومة بناء الدولة العراقية ولاانتخابات غيرت خارطة الكراسي (ولا نقول الخارطة السياسية) ولا المناطق التي كانت ساخنة تحولت الى مناطق في القطب الشمالي من برودتها ولا عشائر تزاورت وموائد نصبت لمسح جراح الماضي البعيد منه والقريب ولا الذين (قارعوا) الامريكان صاروا من اعز اصدقائهم ولا دول الجوار اعادت حساباتها حول المشروع العراقي الذي كانوا يرتجفون منه خوفا على كراسيهم التي تحلحلت من مكانها بعض الشيء ولا المجتمع الدولي ارسل عشرات الرسائل الايجابية عن موقفه من التطورات الجارية على الارض العراقية بما في ذلك مشروع او مشاريع المصالحة الوطنية .ولا الجامعة العربية استفاقت من (غفوتها) لتتحدث ،حديث(ابا الهول) عن تقدم في المصالحة الوطنية العراقية .

المصالحة انواع !

اذا كان كل ذلك قد حصل فما هو نوع المصالحة التي ينادون بها ؟

اذا كـان المقصود بهذه الدعوات هي للمصالحة الشعبية ، فليوفروا على انفسهم عناء الاشتغال عليها ، فالممانعات الوطنية الشعبية العراقية قد اشتغلت عليها حققتها ، محرزة سبقا في الوعي السياسي والوطني على الطبقة السياسية القائدة لعملية التحولات الجارية في البلد ، رغم كل محاولات الدفع (الرباعي) الخارجي والداخلي والعربي والاقليمي، لفتح اكثر من دفرسوار عراقي في جدران الممانعة العراقية .

واذا كان المقصود من هذه الدعوات ، اوراق ضغط لتحسين وضعية دائرة الكراسي بين المتخاصمين السياسيين ، والحصول على صوت اعلى وكرسي أوثر ومساحة ارحب حول الطاولة الحكومية ، فمثل هـذه الدعوات لاتستحق كل هذا التهويل ولا التلويح بالمربعات الاولى ، ويكفيها ان تبدأ وتنتهي خلف الكواليس ، في صفقات يفضل ان يكون المواطن والشارع العراقي بعيدين عنها ، حتى لاتترك تأثيراتها السلبية على عودة اللحمة الحقيقية بين ابناء الوطن الواحد والمستقبل الواحد . مع اننا ، وبكل قوة مع اية مشاريع للاصلاح السياسي ، سواء الذي اتفق عليها أو الجديدة منها ، ذلك ان اي عاقل لايستطيع القول ان القطار العراقي مهيأ للانطلاق بقوة نحو المستقبل الحقيقي لتحقيق احلام مابعد سقوط الطاغية ، فالورشة السياسية بحاجة للكثير من مستلزمات تهيئة وتوقيت ساعة الانطلاق الحقيقية وليس الانطلاق المشحون بالخوف والتردد واحتمالات الانتكاسة ، التي يصفها الاطباء من غير السياسيين ، بانها اخطر من المرض نفسه !

اما اذا كان المقصود من هذه الدعوات العلنية منها والسرية ، الحقيقية منها أو الانتخابية المدفوعة الثمن نقدا أو آجـلا (على اساس المتحقق) ، المصالحة مع البعث تحديدا ، حزبا وفكرا، فعلينا هنا ان نتوقف قليلا لنطرح بعض التساؤلات والافكار التي تقرب الدعوات من حقيقتها ونواياها واهدافها .

نسأل اولا :

لماذا تطرح ، موارية ، ان لامصالحة وطنية حقيقية الامع البعث ؟

ماهي الامكانات التي يستطيع ان يقدمها مثل هذا الحزب لاندفاع العملية السياسية ، هي غير متوفرة عند بقية الفرقاء ؟

لماذا يجري التأكيد على ان تهميش البعثيين واقصائهم من العملية السياسية هو سبب كل التعثرات الجارية في عملية (المصالحة) ؟

اجابات من الاسفل

لنبدأ الاجابة اولا على السؤال الثالث .....

ان ترويج اقصاء البعثيين من مؤسسات الدولة ليس الاكذبة كبيرة لاتنطلي الا على فئتين ، الاولى لاتدري والثانية تدري وهي المصيبة الاعظم . البعثيون ، شعبا وفرقا ، موجودون ايها الداعون لانصافهم في كل مرافق الدولة ، من اعلى المستويات الى ادناها ، وحصلوا على فرص للعمل والحياة ، اكثر بكثير مما كانوا عليه في زمن سيدهم ، بل ، اكثر مما كانوا يحلمون به . ففراشهم في دولتهم اصبح مديرا في دائرة ، بعد ان القى بميشيل عفلق جانبا ، وتجلبب والتحى وصار تقيا من اتقياء الله ، ومندوب المسارح والنوادي اصبح قائدا لجريدة ، ومن لم يخلع الزيتوني حتى التاسعة صباحا من يوم سقوط ولي نعمتهم اصبح مسؤولا كبيرا في دائرة او حزب او منظمة مجتمع مدني . اما من تم التعرض لهم ، فلم يكن هذا التعرض ، منهجا حكوميا ، من زمن مجلس الحكم وحتى حكومة المالكي ، انما هي حالة طبيعية ، وان كانت مرفوضة ، للفورات الشعبية نتيجة الظلم والجـور وتراكمهما عشرات السنوات ، والامثلة كثيرة محلية (ثـورة الرابـع عشر من تمـوز ١٩٥٨ عندما جـرى تصفية العائلة المالكة ، ومقتل نوري سعيد ، وسحل الوصي عبد الاله) ، ودولـية (ثـورة اكتوبر الروسية ١٩١٧ والتي ادت الى تصفية عائلة القيصر مع خدمهم) . وحتى هذه الفورة الشعبية العراقية سرعان ما خفت بريقها واصبحت رمادا بعد الدعوات الحكومية والشعبية المتعقلة الى رفض سياسات الثـأر ، بما في ذلك البعثيين الذين لاقضايا قضائية عليهم ولم يشتك اي مواطن عليهم . ونتيجة لتوجهات العملية السياسية للعمل بعقلانية سياسية اكثر حكمة واحساسا بالمستقبل فقد تحول قانون اجتثاث البعث الى المساءلة والعدالة ، ثم شمل الكثير منهم ، بما في ذلك الحرامية ، بقانون العفو العام ، وفيما عدا البسطاء منهم الذين ظلوا يراوحون في مكانهم منذ زمن سيدهم حتى الآن ، فان الذين أكلوا من الكيكة العراقية على حساب بؤس الفقراء وعوزهم في زمن سيدهم ، مازالوا يأكلـون من الكيكة بـل وينهشون الاكتاف واصبحوا اكثر شراسة من قبل ولكن بأشكال مختلفة ، تحت راية الديمقراطية والقانون وحقوق الانسان ، وهي الاسقف الثلاثة التي استفاد منها البعثيون اكثر من غيرهم بعد سقوط الدكتاتورية في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ .

هذا ليس كلاما في الهواء ، ليذهب دعاة المصالحة مع البعث الى كل مؤسسات الدولة ليكتشفوا عدد البعثيين في هذه المؤسسات اولا ومراكزهم الوظيفة القيادية كما يحلو لهم ان يسموها !وليذهبوا الى المؤسسات الاعلامية في الدولة والحكومة والاحزاب والقطاع الخاص ليكتشفوا ، دون كثير عناء ان ٩٠٪ من قيادات هذه المؤسسات ، ان لم يكن أكثرهم من البعثيين السابقين ، والادهى من ذلك انهم يشتمون الوضع الجديد صباحا ومساءا ، كلاما وكتابة ، ايماءا وسخرية . ويا لسخرية التغيير والتحولات ، فانهم يخيفون الآخرين ب(علسهم) عند اقتضاء الحاجة . والأمر ، ان البعض مازال يخشاهم لان كتابة التقارير مازالت هوايتهم المفضلة ، التي ذهب بسببها آلاف من العراقيين الابرياء الى السجون او الى اعواد المشانق أو الى سوح الاعدام !! (اذا افترضنا ان المعارضين لنظام البعث من المذنبين)

فأي بعث يريدون المصالحة معه ؟

وللامانة فان جناح البعث العراقي في سوريا والمسمى (بقيادة قطر العراق) كان ضمن المعارضة العراقية ، وضمن تحالف يدعى ، جوقد، (الجبهة الوطنية القومية الديمقراطية) ، وكان مساهما في مقارعة النظام ، متى امكن ذلك ، لكن ممارساته لم تكن تخرج من كم المدرسة البعثية . فعلى سبيل المثال لاتستطيع ان تدخل الى سوريا الا ببرقية موافقة من(مكتب شؤون العراق) وكانت مثل تلك الموافقات لاتعطى الا بتوصية أو بمجاملة أو ابتزاز ، وكذا الحال بالنسبة للطلبة العراقيين الذين يرغبون في اكمال دراستهم في الجامعات السورية .

انها مدرسة .. فماذا تستطيع ان تغيّر .. ولا يغير الله في نفس ..؟

ماتبقى من البعثيين الذين غادروا العراق بعد التغيير بدأوا بالعودة ، وانخرط اغلبهم بالحياة العامة بل وحتى السياسية ، ومن لايرغب في العودة فان تحت الاكمة ماوراءها !

اذن نحن امام دعوات للمصالحة مع القيادات البعثية من المجرمين الذين نراهم يوميا في قفص الاتهام ، امام العدالة ، والذين ينكرون كل التهم الموجهة لهم ، وهذا حقهم ، وكأن ماحصل في العراق من مآس قد ارتكبته مخلوقات جاءت من الفضاء المجهول !

أو انها دعوات للمصالحة مع البعث ، بجناح المجرم عزت أو غيره ، من الذين اوغلوا في الدم العراقي كما كانوا يفعلون يوم كانت الكراسي لهم !

واذ هم يؤكدون (دعاة هذا النوع من المصالحة) الى ان العملية السياسية لاتستقيم الا بهذه المصالحة ، وليذهب ضحايا البعث الى الجحيم ، فان الربط المنطقي ، هو ان العنف الذي ساد الساحة العراقية منذ سقوط الدكتاتورية كان في بعض حلقاته صناعة بعثية بامتياز . وعلينا فقط ان نتصور شكل (المصالحة) بين الضحية والجلاد ! الجلاد الذي لم يكتف بسوطه ، بل فضل التحالف مع نفايات البشر من تنظيم القاعدة الارهابي للاستفادة من امكاناتهم لايقاع المزيد من الأذى بالشعب العراقي ، لتحقيق اهداف سياسية ، ليس اقلها بلادة ، هي العودة الى ماقبل ٤/٩ !والادلـة على هذا الكلام لاتعد ولا تحصى وهي موثقة بالرسائل والصور وتسجيل المكالمات والاعترافات التي لم تتوقف عن هذا التحالف غير المقدس بين مجموعتين مجرمتين .

ماذا بشأن السؤال الثاني المتعلق بامكانات البعث المطروح للمصالحة ؟

لنفترض حسن النية عند الذين يقولون ان الصداميين غير البعثيين وان صدام قد صادر الحزب وفرّغه من محتواه القومي والانساني (كذا) وان علينا ان نفرق بين الجهتين وان نكون موضوعيين وان لانفتت الشارع العراقي وان نعض على جراحنا ونؤمن بالمستقبل ونمد اليد الى البعث غير الصدامي غير الملطخ بالدماء .

حلو .. كلام جميل

سنرمي خلف ظهورنا الماضي وسنفرق بين البعثيين والصداميين ونريد ان ننطلق للمستقبل من اجل العراق الذي اردناه . ولكن قبل هذا وذاك من حقنا ان نسأل ماذا يستطيع ان يقدم حزب البعث غير الصدامي (تعال وطلّع الابرة من كومة قش) للعملية السياسية من دعم وتقوية ودفع ، سواء على مستوى الانسلاخ من ورطة المحاصصة التي وقعنا فيها أو بناء الدولة العراقية الجديدة وسنقتنع بان كل هذا الكلام ليس انتخابيا ، لدغدغة مشاعر البعثيين ،وسنسأل :

هل يستطيع البعث (الجديد) ان يتخلص من فكره الانقلابي والشوفيني ، ويعيد قراءة منتجه (الفكري) وفق معطيات المرحلة العراقية الجديدة ؟

هل يستطيع هذا الحزب قبل القبول به ان يقدم رؤية نقدية ، ليس لمسيرته كلها ، بل في الاقل لمسيرة سنوات الدم في العراق التي كان حاملا لرايتها ، باختلاف وجهات النظر ؟

هل يستطيع البعث غير الصدامي هذا ان يقدم اعتذارا ، ليس للشعب العراقي برمته ، بل في الاقل لضحايا النظام البعثي (١٩٦٨ــ ٢٠٠٣) ؟

هل يستطيع مثل هذا الحزب ان يقر الديمقراطية الجديدة منهجا والتداول السلمي للسلطة اسلوبا ويتخذ من راية حقوق الانسان راية له بديلا عن بعث تشيده الجماجم والدم .. تتهدم الدنيا ولا يتهدم ؟

اذا وجد مثل هذا البعث (الديمقراطي) المتصالح مع نفسه ومع الشعب ، عندها ستكون الكرة في ملعب الكتل السياسية الحاكمة لطرح مشروع تغيير البند الخاص بحله وعدم شرعيته السياسية والتصويت عليها ثم طرحا للاستفتاء الشعبي ، وعندها ستقول صناديق الاقتراع كلمتها ويصمت الجميع .

مثل هكذا بعث سيخدم العملية السياسية ويعطيها زخما جديدا ، وفي غير ذلك ، لن نجد الا بعثا متآمرا انقلابيا يعيق مسيرة المصالح والبناء ويستغل اللحظة التي يراها مناسبة لمحاولة قلب الطاولة على الجميع بما في ذلك المطبلين لعودته بنفس ملابسه القديمة !

اما حملة دعوة البعث على حاله في السـؤال الاول بصـورة مـوارية ، فليس هناك مجال للشك ، بانها دعوات تنطلق من الحنين للبساطيل العسكرية والمقابر الجماعية وتدويخ المنطقة بالتوترات والحـروب ، للعودة الى زمن ، طريق القدس يمر من طهران أو الكويت وربما الرياض !

في حقيقة هذه الدعوات ، انها كذلك ، لكن الانتحار السياسي في هذه المرحلة لمثل هذه الدعوات تمنعهم من المجاهرة الحقيقية بالعودة اللامشروطة للبعث الصدامي ، بحلة يتقبلها البعض ويشم رائحتها البعض الآخر عن بعد !

دعوات الاشقاء

استمر الاشقاء في العزف على وتر ، المصالحة الوطنية لاتمر الا من خلال هذا الكيان ، البعث ، وقدموا من اجل ذلك اخبث خططهم للضغط على الجسد العراقي للقبول به بالزيتوني وبروائح الدم المنبعثة منه ، دون دعوة واضحة ، تحت شعار ابعدوا الملطخة اياديهم بدم العراقيين . تعالوا هنا وافتونا ، من هو الملطخ ومن هو غير الملطخ ، اذا كان مؤيدا في الحزب ، لاعضو فرقة ولاشعبة ، وبتقرير بسيط من عدة كلمات ، يستطيع ان يزج بانسان في غياهب السجون ، دون ان يكتب له اي امل في مواجهة الشمس مرّة ثانية ! من يستطيع ان يعرف لي الذي قطع الألسن والرقاب والايادي من الملثمين من فدائيي صدام ؟ من يستطيع ان يعرف لي ضباط الامن والمخابرات الذين كانوا يتسلون ليلا بتعذيب المعتقلين حتى تزهق أرواحـم ، ثم يطالبون اهاليهم بعدم اقامة مجالس العزاء في صباح اليوم التالي ؟ هل هم من اعضاء الفرق والشعب او القيادات المتقدمة في صفوف الحزب القائد !؟

قضية ملتبسة حقا !

وعندما غسل الاشقاء اياديهم من مشاريع الماضي ، اوغلوها بالدم العراقي بالدعم المادي وتمرير الارهابيين ليتحالفوا مع البعث القديم الجديد ، وراحوا ينادون ، ان تعالوا الى عواصمنا واعتذروا للبعث الصدامي تحديدا عما فعلتموه به حتى تنقذوا عراقكم الجديد وترتاحوا من المفخخين والمفخخات والاغتيالات والتحريض على الاقتتال الطائفي !

ثم عادوا وغسلوا اياديهم من دمائنا ، بعد ان اقتنعوا ، ان التأريخ لايعود الى الوراء ، وان البعث الذي يدخل المصالحة ، ينبغي ان يكون غير البعث الذي سفك دماء العراقيين ، غيره اسما وسلوكا ومنهجا . والآن يتعاملون مع العملية السياسية باعتبارها واقعا لايمكن العبور عليه باشتراطات بعثية!

الدخول الأمريكي على الخط

ما أن زار بايدن العراق (نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية) حتى طارت الشائعات ، بان الرجل جاء لاعادة البعث الذي اسقطوه بدباباتهم الى السلطة أو فرضه على اطراف العملية السياسية في البلاد ، وراح الاعلام ينسج القصص والسيناريوهات الهوليودية ، وظهرت السن ورؤوس وحكايات ، اعتقدت بان الفرج قد جاءهم من حامي الحمى وانهم في الطريق الى السلطة ، ليس بقطار اميركي بريطاني هذه المرة ، بل بدبابة أميركية خالصة لاشريك معها ! . واذا افترضنا ان من ضمن الاهداف الأميركية للعمل السياسي المقبل مثل هذه الاجندات ، فانهم في الاقل من باب اللياقة ، نفوا بشدّة هذه الافلام القصيرة ، وقالوا صراحة على لسان السفير الأميركي (هيل) وعلى لسان النائب (بايدن) ثم تبعهم رئيسهم باراك اوباما ، بان لاشأن لهم في القضايا الداخلية العراقية وتحديدا قضية المصالحة الوطنية . حتى وان لم يكن هذا الكلام صحيحا مئة في المئة ، اي النفي ، فأنه أعلن من جهة واضحة ، ان الخيارات الأميركية في العراق ليست حتمية ولا نهائية .وان قوة القرار السياسي لم تعد اميركية ضاغطة على القرار العراقي ، وان الخطوط الحمر في الدستور ، الذي صوّت عليه الشعب ، لايمكن تجاوزها بالرغبات السياسية .

البديل

اذا ذهبنا مع الذاهبين الى ان البعث فكر وناس وتأريخ ، فهل يمكن القبول به على علاّته ؟

اذا كان الجـواب حتى من البعثيين الراغبين في الانخـراط في العملية السياسية ب(كـلا) فان عليهم ان يقدموا البعث البديل (على سبيل الافتراض) .

البعث الذي يدين المرحلة التي قاد فيها العراق الى كل هذه المآسي ، حتى مآسي اللحظة الراهنة .

البعث الذي يعتذر للشعب العراقي وضحاياه على امتداد حكم البعث للعراق .

البعث الذي يقر العملية السياسية الجارية في العراق ، مؤمنا بالتعددية والتبادل السلمي للسلطة ، وليس اغتصابها ببيانات (باسم ألشعب) .

اذا وجد مثل هذا البعث فلماذا لايقبلوه في العملية السياسية ؟!

Email: ameralmada@yahoo.com

سنرمي خلف ظهورنا الماضي وسنفرق بين البعثيين والصداميين ونريد ان ننطلق للمستقبل من اجل العراق الذي اردناه . ولكن قبل هذا وذاك من حقنا ان نسأل ماذا يستطيع ان يقدم حزب البعث غير الصدامي (تعال وطلّع الابرة من كومة قش) للعملية السياسية من دعم وتقوية ودفع ، سواء على مستوى الانسلاخ ورطة المحاصصة التي وقعنا فيها أو بناء الدولة العراقية الجديدة وسنقتنع بان كل هذا الكلام ليس انتخابيا ، لدغدغة مشاعر البعثيين

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ . يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢ . ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com